

وهذا كما جاء في موضع آخر حيث يقول اﷻ عزوجل: ((وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)) ومصادقه من السيرة ما روى من قول بعض هؤلاء الجاحدين: ((تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرفَ، أطعموا فأطعمنا، وحمّلوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتّى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسَىٰ رهان قالوا منا نبيّ يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه؟ واﷻ لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه!)).

ثم ضرب اﷻ تعالى لنبيه مثل الرسل من قبله حيث صبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى جاءهم نصراﷻ، فكان ذلك بشارة قرت بها عينه، وثلج لها صدره وعقب ذلك بأن هذه سنة اﷻ في الرسل وكلماته التي لا مبدل لها ((ولا مبدل لكلمات اﷻ ولقد جاءك من نبيّ المرسلين)) وشبيه بهذا قوله تعالى في آيات أخرى: ((ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون)).

وقد جاء في مواضع أخرى من القرآن الكريم أن هذه السنة ليست خاصة بالرسل، وإنما هي عامة في المؤمنين المصلحين، إذ يقول اﷻ عزوجل: ((إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)). ((ولينصرن اﷻ من ينصره)). ((وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)).

فكما أن هذا كان تبشيراً للنبي، واستلا لبواعث الحزن من نفسه، ينبغي أن يأخذه كل مصلح مؤمن داع إلى اﷻ، بشرى يثبت بها فؤاده، ويقوى بها عزمه، ويسير بنورها وهداها في طريقه منتظراً النصر من ربه وإن تحالفت عليه الأعداء وكثرت في سبيله العقبات، فإن الإخلاص يذل الصعاب، ويفتح الأبواب، وإن اﷻ مع الصابرين.

ولقد شاء اﷻ تعالى أن يحسم كل أثر من آثار حزنه صلى اﷻ عليه وآله وسلم، وأن ينقذه من ترقبه لآية من الآيات التي كانوا يطلبونها ليؤمنوا به، حيث كانوا يقولون: ((لولا أنزل عليه آياته من ربه)) فقال له عزوجل: ((وإن كان كبر عليك إعراضهم...)) الخ. والمعنى لسنا بمجيبى هؤلاء إلى ما يطلبون من الآيات فإن كان إعراضهم قد كبر عليك وأهمك إلى هذا الحد، فانظر ما ذا تستطيع أن